**تطور القراءات وانتشارها**

بحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**Ahmedmsamir54@gmail.com**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى تطور القراءات وانتشارها**

**الكلمات المفتاحية – تطور، القراءات، انتشارها**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة تطور القراءات وانتشارها**

* **.عنوان المقال**

**نقل الصحابة الذين تلقوا القرآن عن النبي وجوه القراءات عنه أيضًا، فحفظوها، وضبطوها، وعرضوها عليه، ثم أقرءوها جمهور المسلمين، وأسلموها إلى التابعين الذين لم يكونوا أقل منهم حماسة، أو دأبًا إلا أن جهودهم فيها كانت تأتي في غمرة اطلاعهم بالتفسير، والفقه، والفرائض، وغيرها من علوم الشريعة، حتى إذا حل القرن الثاني للهجرة وجدنا رجالًا أكفياء يخفون هذه الوجوه، وينصرفون إلى ضبطها، وحفظ إسنادها، ويضعون الشروط الواجب توافرها في حامل القراءة، فإذا هم أعلام بها، وإذا هي بهم علم مستقل.**

**قال أبو عبيدة: ثم قام من بعدهم -يريد الصحابة والتابعين- بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا، ولا قدمه، غير أنهم تجردوا في القراءة، فاشتد بها عنايتهم، حتى صاروا بذلك أئمة، يأخذون الناس عنهم، ويقتدون بهم، وفيهم خمسة عشر رجلًا من هذه الأمصار، في كل مصر منهم ثلاثة رجال، فكان بالمدينة أبو جعفر، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع، وإليه صارت قراءة أهل المدينة.**

**وكان من قراء مكة عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن محيصن، وأقدمهم ابن كثير، وإليه صارت قراءة مكة.**

**وكان بالكوفة يحيى بن وثاب، وعاصم، والأعمش، ثم تلاهم حمزة رابعًا، والكسائي.**

**وكان من قراء البصرة عبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر.**

**ومن قراء الشام عبد الله بن عامر اليحصبي، ويحيى بن الحارث الزماري، والثالث قد سمي لي بالشام، ونسيت اسمه، هكذا قال المؤرخ.**

**وخلاصة القول، نقول: تاريخ الشذوذ: كانت القراءات في عهد النبي، وأبي بكر نبعًا، فرا يلبي حاجة ماسة عند القبائل، ويقع من نفوس أهلها مواقع حسنة، ويقفون جميعًا على أساليب القرآن ولغته، ولكن كثرت هذه القراءات فيما بعد، ولا سيما في عهد سيدنا عثمان، وأخذت يسير في منحى يناقض مسوغ وجودها، ويثير من المخاوف ما لا يمكن درؤه إلا بإجراء اجتهادي يحفظ للقرآن قدسيته، وللمسلمين وحدة الكلمة، فوحد عثمان المصاحف، وجعلها على رسم واحد، وترك خارج مصحفه ما لم يجمع عليه من القراءات، ولم تكن القراءات الموافقة لرسمه على درجة واحدة من الذيوع والانتشار؛ وذلك تبعًا لعدد الذين يحملون القراءة، ودرجة عدالتهم وتوثيقهم، وقد دفع هذا العلماء إلى الاختيار الذي قاد بالضرورة إلى ترك بعض القراءات التي لا تناسب قناعتهم.**

**ولقد تطورت هذه الاختيارات فيما بعد إلى مقاييس محددة؛ وذلك بفعل اللحن الذي أخذ يسكبه الأعاجم في وجوه القراءات، والتخليط في الأسانيد الذي وقع فيه بعض الضعفاء المشاركين في الفن، مما دفع أولي الأمر، والغيرة إلى الانعطاف بالفن إلى الكتابة، والتدوين، والتماس العون في ضبط القراءات من علوم العربية، إلا أن هذه الجهود لم تكن متناسقة، بل فردية ذاتية، يلفها التعدد والاختلاف؛ إذ كان كل مقياس يصحح بعض القراءات، ويترك بعضًا، فكثر لديهم المتروك، واختلفوا فيه إلى أن كانت النهاية عند ابن الجزري الذي ضبط حدود المتروك منها.**

**ولعل غايتنا في هذا المقام هي: تحديد ما تركته الاختيارات، والمقاييس من قراءات حتى القرن الرابع، وبيان حركة التشذيذ، والتطوير التي صارت عليه القراءات المتروكة؛ بغية الوصول إلى تحديد المادة القرآنية التي يقوم عليها البحث النحوي وغيره.**

**ولنقل هنا: ما خرج على شرط أبي بكر >: من المعروف أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت عندما وكل إليهما جمع القرآن: "اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه، ويراد بالشاهدين هنا على أفضل الأقوال: من يشهدان بتلقيها سماعًا عن النبي  فخرج على شرطه آيتان من سورة التوبة، انفرد بنقلهما خزيمة الأنصاري، فشفع له في قبول زيد لها جعل النبي فيما مضى شهادته بشهادتين، وحفظ زيد نفسه والصحابة لها، في حين أن آية الرجم وهي قوله تعالى: "لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كقربكم الشيخ والشيخة إذا زنيا فرجمهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم"، لم يقبلها زيد من عمر بن الخطاب؛ لأنه كان وحده، ولا توصية بشهادته.**

**إن هذه الآية تعد مما شذ عن شرط أبي بكر في جمعه للقرآن، فهي ليست منسوخة كما يرى بعضهم؛ لأن النسخ لا يكون بعد وفاة النبي  وبقاؤها مع عمر في عهد أبي بكر دليل على ذلك، يقوي هذا قول عمر المعلل فيها: لولا أن تقول الناس: زاد في كتاب الله لكتبتها، ويقويها أيضًا النسخ كما هو معروف رفع حكم شرعي بدليل شرعي، وهذه الآية لم يتوفر لها صفة الحكم المشهور، ولا دليل النسخ المقطوع به حتى نعدها مما نسخ، كما أننا لا نقول بدرسها، كما أن معظم كتب النسخ قد احتفلت بها.**

**ولعل خير ما قيل فيها: إنها سنة، فهذا القول يقربها من الحروف المخالفة المأثورة عن الصحابة، ولا سيما أنها تقترب في أسلوبها منها، على أن مقياس أبي بكر -كما هو واضح- أن يترك أثرًا ذا بال في تاريخ الشذوذ، وذلك باختصار آثاره على آية الرجم؛ ولأن العلماء لم يصلوا إلى حل حاسم فيها، ولأن غاية أبي بكر أيضًا كانت تهدف أساسًا إلى تدوين القرآن الكريم.**

**ما خرج على شرط عثمان >: يعد صنيع عثمان في توحيده مصاحف الأمة على رسم واحد، وحرقه مصاحف الصحابة العتيقة الخطوة الحقيقة الأولى في تاريخ المقاييس. فقد أبعد عثمان > عن القرآن المسلمين عددًا من الروايات التي لم يستفض نقلها عن النبي  وأعلن بطلان العمل بها، وسارع إلى تطبيق ذلك؛ إذ أرسل إلى كل مصر قارئًا تتفق قراءته، والنسخة التي أرسلت إليه. فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدني، وعبد الله بن السائب مقرئ المصحف المكي، والمغيرة بن الشهاب مقرئ الشامي، وعبد الرحمن السلمي مقرئ الكوفي، وعامر بن عبد القيس مقرئ البصري.**

**لقد أصبح منذ هذا الحين رسم عثمان شرطًا أساسيًّا من شروط صحة القراءة، فكل قراءة لا توافق هذا الرسم تبقى خارج المصحف، أما الرسم مصطلحًا: هو الوضع الذي ارتضاه عثمان في كتابة القرآن وحروفه.**

**بقي خارج حدود عثمان عدد من الحروف التي تتميز عما في نسخه بالزيادة، كقراءة ابن مسعود "ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم إني لكم نذير مبين" بزيادة "فقال يا قوم"، أو بالنقصان كترك "على" في قراءة ابن عباس "يا حسرة العباد"، أو باختلاف لفظة، كقراءة ابن مسعود: "ولا تنقصونه" بدل "ولا تضرونه"، أو أكثر من لفظة، كقراءة أنس بن مالك: "ولا تقربوا النساء في المحيض واعتزلوهن حتى يطهرن"، وهي في نسخ عثمان: {ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [البقرة: 222]، وقد يكون الاختلاف طفيفًا لا يتجاوز حرفًا واحدًا، كقراءة أبي: {ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ} [البقرة: 249] برفع "قليل"، وتنوينها: "فشربوا منه إلا قليلٌ"، وهي في نسخ عثمان: {ﭬ ﭭ} [البقرة: 249].**

**لقد جاء معظم هذه الحروف في مصحف ابن مسعود؛ لعدم شهوده العرضة الأخيرة، وفي مصحف أبي بن كعب الذي لم يشأ -كما تذكر المصادر- أن يتخلى عما سمعه بنفسه من النبي، كما جاء بعضها في مصاحف الصحابة الآخرين الذين عنوا أحيانًا بتفسير بعض الألفاظ، أو الأحكام، وأثبتوا ذلك كتابة، ولا يمكن ههنا أن ننسب بعض هذه الحروف إلى مصاحف التابعين، أو المتأخرين، كما فعل ابن أبي داود السجستاني؛ لأننا لا نميل إلى وجود مصاحف خاصة بهم على المعنى الاصطلاحي؛ وذلك لأن معظم ما نقل عن هؤلاء من حروف يطابق ما روي عن مصاحف الصحابة؛ ولأن من البعيد أن يتجاوز هؤلاء المتأخرون إجماع الأمة؛ فيكتبون لأنفسهم مصاحف بعد أن أحرق عثمان مثلها.**

**ومما يمكن قوله: هو أن هؤلاء التابعين كانوا يرون هذه الأحرف رواية؛ لتمسكهم بها، فقد كان عاصم الجحدري يروي حروفًا منها عن النبي، وأبي بكر، ولكنه إذا كتبها كتبها على ما يوافق رسم عثمان، فهو يكتب مع الجمهور: "المقيمين، والصابئون"، ويقرؤهما "المقيمون، والصابئين"، كما رواهما، ولعل ابن أبي داود السجستاني كان يريد من مصاحف التابعين مجموعة الحروف التي اختص بروايتها، ونقلها كل واحد منهم، فيكون بذلك للمصحف ما كان لمعنى جمع القرآن من مؤدى مجازي مجرد.**

**وقد رأينا ابن خالويه في كتابه (المختصر في شواذ القرآن) يقول عن قراءة الأعمش: "وجعلوا الملائكة الذين هم عبادَ الرحمن إناثًا" بنصب عباد، وهي في مصحف ابن مسعود كذلك، وينسب قراءة: "ما يُلْفَظُ من قول إلا لديه" ببناء "يلفظ" للمجهول إلى بعض المصاحف عن ابن مسعود، مع أنه لا اختلاف في الرسم بين مصحف عثمان، ومصحف ابن مسعود في هاتين القراءتين، وهذا يدل على أن المصحف يراد به ههنا القراءة، لا المعنى الاصطلاحي، كمدونات الصحابة.**

**ولعل في هذا التفسير ما ينحو أيضًا بمسألة المصاحف القديمة منحى التضييق، والحصر، لا منحى التفخيم، وإثارة الهول، كما فعل المستشرق "أثري جفري"، على أن القراءة بهذه الحروف لم تتوقف لدى عدد من القراء على الرغم من القرار العثماني الصريح، وإجماع المسلمين عليه. فقد ظلت طائفة من الناس متمسكة به، ومقتنعة تمامًا بأن ما صح عن النبي  لا يمكن تجاهله. قال مكي: وبذلك تمادى بعض الناس على القراءة بما يخالف خط المصحف مما ثبت نحوه. لقد استمر عدد من التابعين، وبعض الناس القراءة بهذه الحروف أمثال: عبيد بن عمير الليثي، والأسود بن يزيد، وسعد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، والأعمش، وابن أبي عبلة، ونعيم بن ميسرة، وكان بعضهم يثبت هذه القراءات في أثناء المصاحف العامة، ويميزها بلون نقط مخالف، كأن ينقطها بالخضرة، أو بالحمرة، إذا جعل الخضرة بالقراءة المشهورة؛ مما أثار حفيظة العلماء، وجعلهم ينظرون إليها شذرًا بعد أن كانت موضع خلاف وحسم، فبادروا إلى وضع التصانيف في رسم المصاحف في ألا يكون في هذه الحروف مجال لمستزيد.**

**من الغريب أن يستنكر صاحب (الموسوعة القرآنية) وضع هذه التصانيف بدعوى إثارتها المشكلات المندثرة، مع أنها هي التي أسهمت في تحديد هذه المخالفات، وضبطها، وتسجيلها، ودفعت بالمشكلة نحو الحل، والحسم.**

**لقد احتاجت هذه الحروف إلى ثلاثة قرون حتى أسدل الستار عليها، فقد كانت في صدورهم متمكنة، وعقولهم راسخة قوية، ولم يكن الحسم فيها إلا بالضرب، فقد ضرب آخر حملتها المدعين إليها ابن شنبوذ سبع درر على مشهد من العلماء، وأولي الأمر حتى رجع عنها.**

**أسباب زوالها:**

**ولعل من المفيد ههنا أن نعدد أسباب زوالها: لقد كانت كراهية المسلمين لحملتها مستمرة، وقد تركت هذه الكراهية آثارًا واضحة في وجدانهم، قال ابن أبي عبلة: "من حمل شاذ العلماء حمل شرًّا كبيرًا". وقد دفعت هذه الكراهية بعض العلماء إلى الطعن عليهم، فقد رمى ابن المديني ابن شنبوذ بكثرة اللحن، وقلة العلم، مع أن ابن شنبوذ كما وصفه الذهبي: شيخ الإقراء في العراق، وأستاذ كبير في القراءات، كما قال ابن الجزري.**

**وكان للرسم أثر بارز أيضًا في انحصارها، فقد بدت مناوأته لها على مر الأعوام شديدة حتى إذا حل القرن الرابع وجدنا أثره قد ترسخ في أذهان المسلمين؛ فانجلى الخلاف عن نصر حاسم له، أدى إلى ترك تلك المخالفات، وجعلها من الشواذ. أضف إلى ذلك، موت حملتها واحدًا بعد الآخر، ومحاولة ابن شنبوذ إيحاء العمل بها، وتنبيهها في وقت كانت في طريقها إلى الزوال، فقد جاءت هذه المحاولة ذريعة قوية للقضاء عليها؛ إذ استطاع مجتهد العصر ابن مجاهد أن يغري بمنافسه ابن شنبوذ الوزيرَ ابن مقلة، فأمر الأخير بضربه فرجع عنها.**

**ولم تكن هذه الحروف لتتسرب في قنوات الشذوذ فتكسب مصطلحه إلا بعد حقبة أيضًا، أو لعلها ارتبطت بحادثة ابن شنبوذ، فصحيح أن هارون بن موسى الأعور هو أول من تتبع شاذ القراءات في النصف الثاني من القرن الثاني، وأن في نقول سيبويه ما يوحي بتتبعه لهذه الحروف، كقوله: وزعم هارون أنها في بعض المصاحف: "ودوا لو تدهنوا فيدهنوا"، ولكن أحدًا من أئمة القرنين الثاني والثالث لم ينعت واحدًا من تلك الحروف بالشذوذ، وأول من وجدناه يطلق عليها هذا الوصف هو أبو جعفر الطبري في مطلع القرن الرابع؛ إذ وصف قراءة ابن مسعود: "وإن كاد مكرهم" بالدال؛ بأنها شاذة، لا تجوز القراءة بها؛ لخلافها مصاحف المسلمين.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**